على هامش حادث أليم

للأستاذ عبد الله حسين

روّعت البلاد بالحادث الأليم الذى ذهب ضحيته القائمقام محمد شكيب بك ؛ إذ أن الناس لا يزالون حين يمرضون لتفصيلات الحادث ، تتجاذبهم النواحى المختلفة ، وتجيش فى صدورهم المعانى والعبر التى انطوت عليه . ولا شك أن كل قارئ قد نظر إلى الحادث النظرة التى تتفق وما شهده من أمثاله وما انتهى إليه من الدراسات والعلوم ، وقابل بينه وبين ما وصل إلى مسامعه من أشباهه

ولا مراء فى أن من الصور التى يعرض لها الخاطر معانى الانتقام والريبة والوسوسة وضعف السيطرة على الأعصاب ، والصلات القائمة بين الرجل والمرأة ، وبين القريب وقريبه ، وبين الصديق وصديقه ، وبين الرجل وعدوه ، والوسائل التى تعالج بها المشكلات الاجتماعية ، حتى يسع المجتمع القضاء على ما يخالف القانون والآداب ، وذلك بإزالة البواعث التى تؤدى إلى ارتكاب الجرائم واقتراف الآثام

ومن واجب المصلحين أن يتناولوا بالتفكير والدراسة علل المجتمع ، وخاصة إذا ما نزلت كارثة ، أو راع الناس خطب عظيم

ولما كان المقام لا يتسع للافاضة فى كل ما انطوى عليه ذلك الحادث الذى ذهب ضحيته ضابط كبير وشاب فى مطلع الشباب ، بل ذهبت ضحيته فتاة كانت لها آمال فى حياة زوجية ، وفزع من أجله صديق برىء لا ناقة له فى الحادث ولا جمل ، اللهم إلا رفقة تبرع بها كرهاً ؛ فإننا نحاول فى هذه الكلمة أن نعالج معنى من هذه المعانى التى قدمنا الإشارة إليها . ذلك أننى عرفت منذ بضع سنوات أحد الموظفين الذين لم يوفقوا فى حياتهم الزوجية لأسباب تتعلق بما كان يملأ رأسه من بواعث الوسوسة والإسراف فى سوء الظن ، وإن بعض الظن إثم.

كان صاحبى هذا يستريب من كل شىء ، ويشك فى كل حركة ، لأنه مصاب بآفة سوء الظن فى خلق الله جميعاً وفى مقدمتهم المرأة . فكان يعود فجأة إلى داره لكى يقف على ما تفعله زوجه : أظلت قابعة فى الدار ، أم خرجت على غير انتظار ؟ وهل بقيت فى ثيابها المنزلية ، أم ارتدت ثوباً نظيفاً ؟ فإذا رآها فعلت ذلك ، أطلق لسانه فيها متسائلاً عن سر النظافة ودواعيها ، ذاكراً أن هذا لا بد قد دعا إليه رغبة فى نفسها لكى تلفت أنظار الرجال إليها

فإذا أجابته أنها داخل الدار حيث لن ترى من الرجال غيره ، مضى إلى النافذة المحكمة الإغلاق ونظر إلى الشارع ، حتى إذا لمح الشرطى يقف هنيهة أمام الدار ويلتفت صدفة قال الزوج لزوجته: ها هو الشرطى يقف أمام دارنا ويحدق نظره فى النافذة! إنه عشيقك ، ولا شك ، وهو ينتظرك ويريد منك أن تتحدثى إليه ... ها هو يبتسم . إنه يبتسم لك . يا فاجرة ...

فإذا حدث أن كانت تصحب هذه الزوجة زوجها إلى زيارة أقاربها ، أطلق فيها لسانه ، كلما مر برجل ينظر إليهما نظرة عارضة ، مشيراً إلى أن الناظر رجل يعرفها وتعرفه ، وأنه يومىء إليها لحاجة فى نفس الشيطان !

وهكذا كان أسلوب حياة الزوجين يجرى يومياً على هذا المنوال ، حتى وقع ما ليس منه بد ، وهو الطلاق والفراق إلى حيث لا تلاق ، حتى آثرت الزوجة المطلقة أن تفر من مطلقها إلى واق الواق ...!

تلك صورة من صور بعض الأزواج ، وتلك حال زوجاتهم معهم ، ومن العسير أن يقف الناس على الحقيقة ، فإن الناس مطبوعون على إساءة الظن بالمرأة ظالمة كانت أو مظلومة

ومن أجل ذلك وجب على الذين يتتبعون عورات المجتمع ، ألا تفوتهم دراسة النواحى المختلفة ، وألا يتعجلوا بتصديق كل ما يروى ، فإن الحياة مليئة بالغرائب والمدهشات والشذوذ . ومن الإساءة إلى الحق وإلى الإصلاح المنشود ، أن يستقر الرأى على عقيدة لم تهد إليها دراسة صادقة ، ولم ينته إليها تفكير صحيح وإنما بعث عليها وهم قديم أو ظلم مقيم .

عبد الله حسين